ولقد تهبط الفكرة الجديدة هادفة إلى أفق جديد ، لا يخلو من تطرف ، وقد رسمت لسعيها خطة معينة تبلغ بها الغاية، ولكنها تجد نفسها — فى سبيل احتفاظها بحياتها — قد انتهجت فى طواعية ومرونة منهجاً آخر تدعو إليه الملابسات والأحوال، وربما تم ذلك على نحو تسوق إليه الطبيعة الدافعة فى غير قصد ولا عمد . وحينئذ تبدو الفكرة الجديدة فى أثواب مفصلة على القدود، فتحمد ما صارت إليه من أوضاع عملية ، وترضى عما أتيح لها من حسن التطبيق !.

ليس بكاف أن تكون « الفكرة » خيرة صالحة نافعة لكى يؤمن بها الناس ويوفوها حظها من التقبل والإذعان ، فما تستغنى فكرة جديدة عن دعامة أخرى غير الخيرية والصلاحية والنفع ، هى أن تكون « إنسانية » تمت بأوثق الوشائج إلى هذا الآدمى الذى نريد منه أن يقيم من نفسه نموذجا لتلك الفكرة فيما ترمى إليه . فلزام إذن ألا تخلو الفكرة من مختلف العناصر ، التى تمثل — أصدق التمثيل — ما تنطوى عليه نفسية الناس من غرائز ومشاعر ، وأكاد أضيف إليها النزوات !...

حياة الفكرة الجديدة فى أن يستجيب لها الشعور العام ، وأن يكون المرء قادراً على أن يدامجها فى سعيه لنفسه وفى معاملته لغيره، فإن لم تكن الفكرة أهلا للاستجابة والمدامجة فهى لا تزيد على أن